بيـــوت صنعـــاء التـــقـليـــدية (٢)

بحثنا في المقال السابق بعض الأوجه المتعلقة بـالتركيبة الفراغية والتكوين العـضوي للبـيت الصنعاني، ووجـدنا ان مفـهوم البـيت الصنعاني وتكوينه يختـلف عما وجدناه سابقا في البـيت البغدادي مثـلا، وان هذه الطبـيعة المختـلفة مـردها عوامـل محليـة بعضـها اجتمـاعية متـعلقة بطبيعـة المجتمع المحلي الزراعيـة مما يتحكم في التوزيع الرأسي للبيت، وبعضـها الآخر ذو طبيعة بيئـية أو مناخية تتحكم في التوزيعات الفراغية أفقيا.

اضافة إلى بعض العادات الاجتماعـية كعادة مضغ وتخزين القات والتي تتطلب انعـزالية وقـضاء سـاعات طويلة، مما أدى إلى ظـهور المفرج كـفراغ لمجلس الرجال بالطابق الأخـير. وانتهينا بالتـساؤلات حول مـدى تأثير هذا الـتوزيع المتبـاين على العـلاقات المختلـفة بين الأنشطة الحيـوية بالبيت؟ و هل الفراغـات الرئيسة بالبيت كـصالات المعيشة رئيسة فعلا في عـلاقاتها مع غيرها من الفراغات ، أم هل كان التوزيع الفـراغي انعكاسا محـضا لهذه العـوامل المذكورة وذلك على حسـاب اهمية الفراغـات الوظيفية مـوقعيا؟ وكـذلك هل يؤثر وجود المفرج (مـجلس الرجال) علـى خصوصـية الأنشطة بالطوابق الـدنيا كالحرملك مثلا؟ في هذا المقال نلقي الضوء على هذه التساؤلات.

وليد احمد السيد
جامعة لندن ٢٣/١/٢٠٠٢

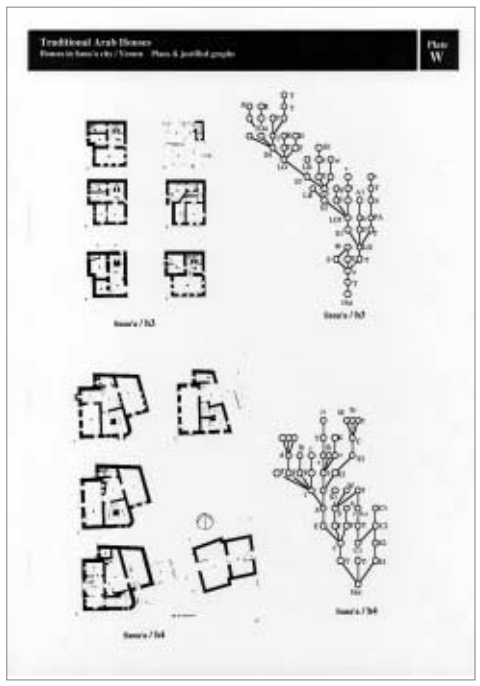

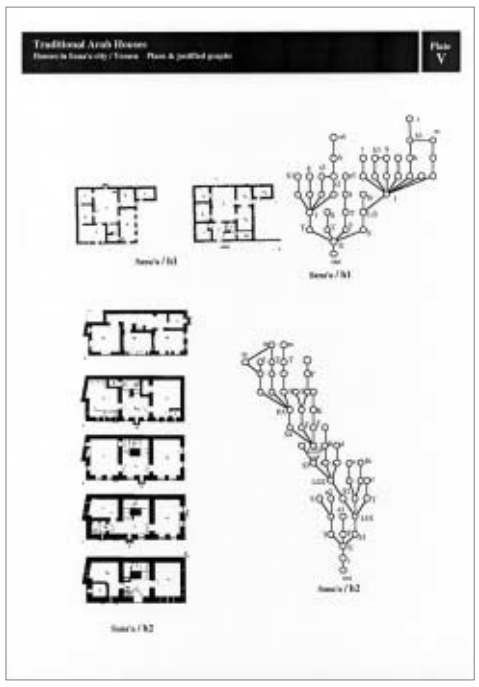

ومن أجل الشـروع بعـمليـة التـحليل بنـاء على أسس علمـيـة، فسـتتم الدراسة اعتـمادا على نفس النظرية العلميـة التي تم بها تحليل البـيت البـغـدادي، وهـي نظرية منظومـة الحـيز الفـراغي (انظر مـقـالـينا المنشـورين سـابقـا، او للتـعـرف على هذه النظـرية انظر كتاب Space is the machine, by Bill Hillier - Cambridge University Press 1996).

امـا العينات الدراسـيـة فقـد تم اختـيار مجموعة من البـيوت التي تختلف فيما يبدو ظاهريا من حيث عـدد الطوابق، اذ تم اختـيـار سـتـة بيـــوت، الاول ذو ثلاثة طـوابق، الثاني ذو خمسة طوابق، الثالث ذو سـتـة طوابق، الرابع ذو خـمـسـة طوابق، الخامس ذو اربـعـة طوابق، امـا السادس فـيتـكون من ثمانيـة طوابق. وبالاضافة الى ذلك تختلف المساحات لـلطوابق، كمـا تخـتلف فـيمـا يبدو ظـاهريا العلاقـات بين الوظائف الرئيسة بالبـيت. ولذلك فـمن اجل تتـبع انـشطة مـعـينة ودراسـة عـلاقـاتهـا المختـلفـة مع غيرها من الفراغات الاخرى، فسيتم التركيز على مجموعة من الفراغات التـالـيـة في كل من هذه البـيـوت السـتة: المدخل، الاستـقبال بالطابق الثـالث (والتي تشـهد الاحتـفـالات والمناسـبـات المختـلـفـة) الديوان (معـيشـة العائلة)، المطبـخ، المفرج (معـيشـة الرجال)، الدرج (كـفراغ انتـقـال واتـصـال رئيسي) والذي ينقل بين الطوابق ويـقابله الممرات في البـيـوت التـقـليـدية في المدن الاخـرى، والنـوم. ومن اجل ادراك العـلاقات المختـلفـة بين الفراغـات واهمية الحيز الفراغي بالبيت سيتم حساب القيمة التكاملية لكل من هذه الفراغات الرئيسة بالبيت وترتيبها تنازليـا حـيث القـيـمـة العـشـرية الاقرب للصـفر تعني قيمـة تكاملية اكبـر للحيز الفـراغي، وتعني ايضا اهمـيـتـه واتصـاله بما حـولـه، بالاضـافة الى دوره كـعنصـر ربط من والى الـفـراغـــات الاخـــرى. (والقـيمـة التكاملية –انظر الكتـاب المذكـور اعلاه – هي قـيـمـة رقـمـية محـسوبة بدلالة معادلات رياضـية بالنسـبـة لعلاقـة الحـيز الفـراغي بجـمـيـع الـفـراعـات الموجـودة في المنظومة ككل).

وبحساب القيـمة التكاملية لكل من الاحـيـزة الفـراغيـة الرئيسـة (المدخل، الاسـتـقـبـال، الديوان، المطبخ، المفـرج، الدرج، والنوم) في كل من البـيـوت السـتـة المختـارة، وجدنا النتائج التالية التي ندرجها فيما يلي بترتيب تنازلي للقيم:

البـيـت الاول: المدخـل والدرج (٨٧٦,)، ثـم الديـوان (٩٥٢) ، ثـم المطبخ (١,٥٨)، ثم الاسـتـقـبـال والنـوم (١,٦٢)، ثم المـفـــرج او معيشة الرجال (١,٩٢٣).

البيت الثاني: الدرج (٩٦٧,)، ثم المـطـبـخ (١,٥٢)، ثـم الـديـوان والمعـيـشـة (١,٥٩)، ثـم المدخل (١,٦٦)، ثـم الـنـوم (٢,٣٣)، ثـم المفرج (٢,٤٢١).

البيت الثالث: الدرج (١,٠٩)، ثم الاسـتـقـبـال والنوم (١,٦٩)، ثم المدخل (١,٨)، ثم المطبخ والديوان (١,٩٩)، ثم المفرج (٢,٤٠٤).

البيت الرابع: الدرج (٩٢١,)، ثم المـدخـل (١,٠٤)، ثـم الـديـوان (١,٠٩)، ثم الاستقبال (١,٢٥)، ثم المطبخ (١,٨٧)، ثم المفـرج (٢,١٢)، ثم النوم (٢,١٦).

البيت الخامس: الدرج (٩٤٢,)، ثم المدخل (١,٥٦)، ثم الاسـتـقـبـال والـــديـــوان (١,٦٩)، ثـــم النوم(١,٧٧)، ثم المفرج(٢,٠١)، ثم المطبخ(٢,٠٤).

البيت السـادس: الدرج(٨٠٣,)، ثـم المـدخـل (١,٠١)، ثم المـطـبـخ (١,٣٣)، ثم الاستقبال (١,٤٧)، ثم الديوان(١,٧٦)، ثم النوم(١,٩)، ثم المفـرج (٢,٠٥). بتـحـلـيل النتـائج السـابقـة يمكن ان نسـتـخلص مجموعة من الملاحظات التالية:

نلاحظ بداية أن الدرج في جميع البيوت السـتـة بدون استثناء يحتل أعلى قـيـمـة تكاملية بـحـيث يشكل العنصر الرابط والحيوي في البيت. وتنسجم هـذه النتيجـة مع طبيـعـة تشكيل البـيت الرأسـيـة إذ أن الدرج يعـتـبر بمثـابة الرابط العـمـودي والذي يقـابله في البـيت البغـدادي الممرات المحـيطة بـالفناء أو ممرات الحـركـة الداخلـيـة. أمـا الملاحظة الرئيسـيـة الثـانـيـة التي تبـينهـا النتـائج السابقـة فهي أن المفـرج أو مـعـيشـة الرجـال والواقعـة غالبـا بالطابق العلوي الأخـير تحـتل أقل قـيـمـة تكامليـة في معظم الحـالات (باستثناء البيتين الرابع والخامس حيث يكون فراغ النوم أكـثر انعزالا وخصوصـيـة في البيت الرابع، وأما في البـيت الخامس فـيحـتل المطبخ اقل قيمة تكاملية وانعزالية عن بقية فراغات البيت).

كـذلك يلاحظ ان المـدخل يحـتل أهمـيـة ثانية في معظم البـيـوت بعد الدرج وذلـك لاتصـــــاله بـالدرج وطبـيـعـة انفـتـاحـه واتصـاله بين البـيت وبين الموزع الخـارجي الذي يربط مـجـمـوعـة مـن البـيـوت معـا حسب طبـيـعـة تكوينها العـضوي المتميز.

ومن ناحية أخرى نجد أن المطبخ ترتبط قـيمتـه التكاملية فـي غالب الأحيان بالقيـمة التكاملية للديوان والاستقبـال من ناحية وبالمفرج أو معيـشة الرجال من نـاحيـة أخرى، وهذه النتـــائج تؤكـد دور المطبخ الوظيـفي بموقـعـه المتـوسط من الأدوار التي يتشكل منهـا البيت في التـوزيـع الحـيـوي الوظيـفي بين عناصـر البيت المختـلفة ، حـيث أنه غالبا ما يكون في الدور المتوسط من البيت، الثاني أو الثالث.

وفيمـا نجد الاستقبـال والديوان غالبا ذوي قيم تكاملـيـة متفاوتة بين النقـيـضين المفـرج ذي أقل قـيـمـة تكـامليـــة وأعـلى درجـــة من الخـصـوصـيـة وبين الدرج ذي أعلى قـيـمـة تكامليـة وأقـل درجـة من الخـصـوصـيـة، نجد النوم يتـفـاوت أيضا في مقدار درجـة الخصوصية ضـمن البيت رغم أنه يميل للقـيـمـة التكامليـة الأقل في مـعظم الأحيـان والانعزالية المطلوبة لهذه الفراغات الخاصة ضمن البيت.

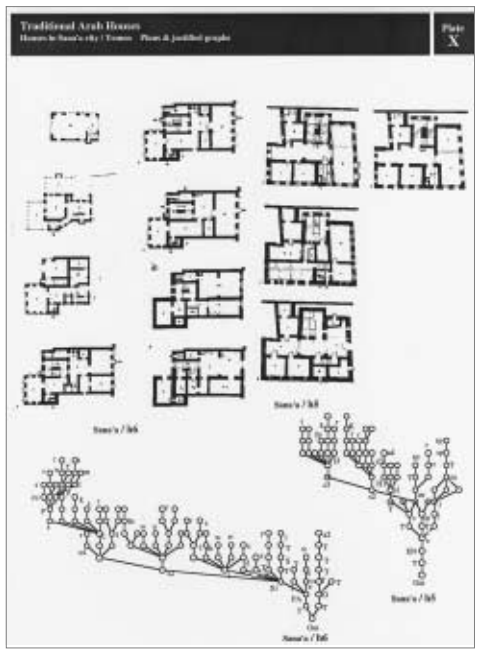

التـحليلا ت الـسـابقة والنتـائج السابقـة تبين وجود مـجـمـوعـة من النقـاط التي قد يشـتـرك بها الـبيت الصنعاني مع غيـره من البيوت في أنحـاء أخرى. بيـد ان تقديم المفـرج كظاهرة اجتـماعية وفـراغ انعزالي للرجـال في البيـت وضمن المنطقـة الخاصة بالبيت يطرح مجموعة من الأفكار حـول وجود تكـوين مغـاير للمـالوف في مفـهوم البيـت والآلية التي يتـفاعل بهـا أفراد البـيت معـا وأيضا في طبيعة استقبالهم للزوار والانفتاحـية التي يمكن أن يحـقـقها البيت في بعض اجـزائه ذات العمق (الرأسـي في هذه الحـــالة نـظرا لطبـيعة تشكيل البيت الرأسـية). وهذا التـمـيـز ليس فـقط انعكاسـا لتشكـيل فراغي مغـاير انما يعكس في الوقت ذاته طبـيعة اجـتـماعـية يحـقـقهـا كل من الفـراغـات والتي توارثت عبر الأجـيـال ضمن خبرات اجـتـمـاعـيـة، ولا ينفي ذلك وجـود الاطار الثقافي الحـضاري الإسلامي الكلي الذي تتحرك من ضمنه الآلية والعـقـليـة الـتي صـاغـت وتصـوغ المفـاهيم الاجـتـمـاعـيـة والبـيت في العمارة اليمنية التقليدية .

معماري الشهر .....

لوكـــوربوزييـــه
Le Corbusier

□ *لونارد– لندن:*

يعتبر المعماري لو كوربوزييه رائد ومجدد العمارة الحديثة في القرن العشرين حيث نقل العمارة العالمية فكرا وتطبيقا نقلة نوعية لما طرحه من افكار ومفاهيم. وقد عكست هذه الافكار والتصورات التي جاء بها لوكـوربوزييه التوازن بين مفاهيم العمـارة العقلانية والاحتياجات الطارئة في فتـرة الحربين العالميتين من ايواء وملجأ سريع لضحـايا الحربين. كذلك قـدم لوكوربوزييه تصورات مهمة في اصول ومـبادىء العمارة الجـيدة وما ينبـغي ان تحقق شكلا ووظيفة.

وقد ولد المعمـار ي لو كوربوزييه في السادس مـن اكتوبر من العام ١٨٨٧م في مـدينة Chaux-de-Fonds بسويسـرا. وكان الابن الثاني لابيه صانع الساعات وامه التي كانت تهوى الموسيقى ومـعلمـة البيـانو. وتعـود اصـول عائلة لوكـوربوزييـه لأوائل المهاجرين الى جبال Jura على اثر الحروب في القرن الثاني عشر. وقـد تأثرت طفولة لوكـوربوزييـه بمعلمه مـدرس الفن وعمـقت ابحاث مـعلمه بحـثا عن مزيج من الفنون والزخـارف التي تعكس اصول منطقة Jura في نفس لوكوربوزييه هذه الرغبة في تحقيق ما هـو جديد في اطار الفن. وترك مـهنة والده كصـانع للسـاعات والتي تحتاج الى نظر ثاقب جـيد مما افتقده لوكـوربوزييه واتجه لدراسة الفن على امل ان يصبح رساما. بيد ان معلمه اصر على ان يدرس لوكـوربوزييه الـعمـارة ولم يكن على علم ان هذا الشـاب سيصبح مجدد العمارة العالمية في القرن العشرين.

وقد اوجد لوكوربوزييه مبـادىء التعامل مع المقياس الانساني كـوحدة مـعمـارية اساسـية اعـتمـادا على افكار طورها ونقلهـا فتروفيوس، ووضع خمسة مبادىء للعمارة الحديثة هي: السقف الحدائقي، والمخطط الافـقي المفتـوح، والبيت المرفوع على اعـمدة، ووضوح الانشاء، والنوافذ الافقـية. وكناتج لهذه العناصر الخمس مجتمعة معا، فقـد شكل لوكربوزييه عناصر المباني الحديثة وهي ابرز مـا تميـزت به مـبـانيـه. اذ تشكل فكرة السـقف الحـدائقي استغلال السقف كـحديقـة علوية، فـيـمـا يمكن المخطط الافـقي المفـتـــوح من استغـلال الفراغ الداخلي بطريقـة مـرنة، اما البيت المرفـــوع عـلى اعـمـدة فـيـعني استعـمال الارض واستـغلالهـا في المدن التي يـرتفع فيها ثمن الارض مما يمكن استغلاله بافضل وجه.

أما وضـوح الانشاء فـهو ان يعكس المبنى من الخـارج بصدق طبـيعـة انشائه وتكـوينه البنائي، كذلك طرح لوكـوربوزييه فكرة النوافذ الافـقـية المتصلة التي تبـرز من الارضـية وذلك لتحـقيق التفاعل ما بين الداخل والخارج.

وقد انتشـرت مباني لوكوربوزييه في اكـثر من دولة اوروبية وعالمية، ومن اشهر مبـانيه علي الاطلاق كاتدرائـية في رونشام بفرنسا بين الاعوام ١٩٥٠ – ١٩٥٥م، وكذلك الاسكان بمارسيليا ومقر الامم المتحدة في العام ١٩٤٥، ومن اشـهر مبانيه في العالم العـربي مبنى الجـمنازيوم بالعراق بين الاعـوام ١٩٥٦ – ١٩٦٤ والذي تم تنفـيـذه في الاعوام ١٩٧٣–١٩٨٠م، وفـيـلا سافـوي وغـيـرها مما لا يعد مـن الاعمـال التي يتـضـمن كل منهـا فكره ونظرياته التي باتت مدار اسـتلهام المعمـاريين العالميين في الوقت الحاضر على المستويين النظري والتطبيقي.

من أخبار العمارة عربيا وعالميا:

أعلـى مـــــبنـى بمدينـة دبلـن بجـــمـــهـــورية آيرلنـــــدا

□ *لونارد –دبلن/ايرلندا:*

تم اعطاء التـرخيص لاعلى مـبنى بجـمـهـورية ايرلندا، والذي تم تصـميمـه من قبل المكتب المعـماري الاسـتـشـاري OMS . ويحـتل المبنى الزجـاجي الذي يرتفع كـبـرج ارتفاعـه ٩٦ مـترا مـركـزل متـوسطا بالمدينـة، وتمثل الانشطة التـي يؤديهـا وظيـفـيـا اسـتـعـمـالات مـتـعـددة وذلـك بمنطقـة Sir John Rogerson بالعاصمة دبلن. ويتضمن المبنى والمنطقة المطورة المحيطة ٢٣١ شـقة سكنيـة، وحوالي ٣١٠٠ مترا مربعا من المساحـة التجارية، وأكثر من ٢٥ الف مـتـرا مربعا من المساحـة للاستعمـال المكتبي. ولدى اتمام بنائه فـإن هذا المبنى سـيكون اعلـى مـبنى في دبلن عاصمـــة جمهورية ايرلنده واعلى بكـثير من المبنى الحـالي الذي يعـد الاعلى وهو قـاعـة الحـرية Liberty Hall والذي يرتفع لحوالي ٥٩ مترا.

المسرح القومي الكبير ببكين - الصين

□ *لونارد – بكين:*

ابتـدأ الـعـمل على مـشـروع المسرح القـومي ببكين حيث طرح المشـروع كـمـسـابقـة في العـام ١٩٩٧، وفاز بهـا بعد عـامين من بداية طرحها المعـماري الفرنسي Paul Andreu والذي تم اخـتـيـار تصـمـيـمـه الفـائز من بين ٦٩ متسابقا.

وحـسب المخطط الزمني فـان من المتوقـــع الانتـهاء من البناء مع نـهـــايـــة العـــام ٢٠٠٦ وتبلـــغ كلفـــة المشـــروع ٣٠٠ مليـــون دولار امـــريكي ، او ٢,٧ بليون ياونـــة.

ويتـمـيـز التـصـمـيم بالاناقـة والجـدة، حـيث يحـيط بالمسـرح قـشرة بيـضـاوية ضـخـمـة على جـــزيرة في وسط بـحـيـــرة اصطناعية.

بالاضـــافـة الـى الموقع الذي تبلغ مـسـاحـته ١٢٠ الف مـتـرا مـربعـا، فـانه يحـوي على دارا للاوبرا وقـاعة عـرض موسيـقي وخـدمـات ومـرافق تجـارية. وبخـلاف مـا يعـرف عن المصـمم الفرنسي من قدرتـه على تصميم المطارات حـــيث صـمم ونـفـذ مطارات في اكـثـــر من ٥٠ دولة حـــول العـــالم منهـــا ابـو ظبي وجـــاكـــارتا والقـــاهـــرة ونيس وبروناي و سان دييغو وباريس فـانه يثبت جـدارته في اكثـر من نوع من المباني الخدميـة متعددة الاستعمالات.

وقد أنهى العـمل على المتحف البـحري في اوسـاكا هذا العـام، وهو مبنى اسطـواني مزجج يقع داخل البحر على سواحل اوساكا. كـما يعـمل هذا المصمم الفـرنسي على مـشـروع مطار شـانغـهـاي الجديد حاليا.

العمارة في أوروبا

مـــركـــز بومـــبـــيـــدو للـفنون
Pombidou Centre

□ *لونارد – باريس:*

يعد مـركز بومبـيدو للفنون بموقـعـه الـوسطي من مـدينة باريس واحـدا من أجرأ المبـاني المعـمـارية على المسـتـوى العالمي لفكرته التـصـمـيـمـية المتـمـيـزة والمواد والناتج الذي قـاد لمفاهيم جـديدة في العـمارة الحـديثـة. ويعـده النقـاد المعـماريون بما يضاهي دار الأوبرا في سـيدني من حـيث أناقـة وقـوة الطرح المعـماري، حـيث يعـتـبـرون ان حـــجـم المشـــروع وفكـرته التـصـمـيـمـية كانـا أبعد من منال المعـمـاريين الفرنسـيين إذ كـان للمعـمـاريين روجـرز وبيـانو النصيب بتقديم هذا الحل البارع وهمـــا من أصـــول ايطاليـــة بريطانية، كما كان معظم الطاقم المعماري الهـائل الذي عمل على التـصـمـيم من المعـمـاريين غيـر الفـرنسـيين، وهو مما لم تألفـه العمارة في مدينة باريس.

وقـد قرر الرئيس بومـبـيـدو عقب انتخـابه عام ١٩٦٩م وهو ممن عرف بشـغفه بـالفن إنشاء مـركزا للفن يهم عـامة الشـعب وليس فقط الطبقة الارستقراطية التي تهـوى الفن عمومـا. ونظرا لتـوسط مـنطقـة Halles في باريس وحـيث نشطت مشـاريع التطوير باتجـاه الغرب. ولم يكن هناك مـواقع خـالـيـة ضـخـمـة متـوفرة في هذه المنطقة المهـمة، فقـد استـهوته فكرة اسـتـعـمـال الأرض التي كانت قـد خصصت عـام ١٩٣٠م لبناء متـحف للفن المعـاصر بكافـة أشكاله. ووضع بتصوره أن يكون المـنشأ الجديد هائل الحجم يتم وصله بمشروع Halles من خـلال ممر للمـشـاة لتـخـديم بقـيـة المنشـآت ذات الصبغة الثقافية المشابهة، وفوق ذلك كله فـقـد أراد لـلتـصـمـيـم الجـديد أن يعـبـر عن العـمـارة المعاصـرة في القرن العـشرين. وقد قـوبل القرار بالتـرحيب من الجهات المختصة وخصوصا في فـتـرة كـانت المنطقـة بحـاجـة لانعـاش من خـلال مـشـروع حـيـوي يستـقطب الأنظار إليـها كونها واقـعة في وسط باريس. فاقيمت مسابقـة معمارية عالمية هـي الاولى عـلى الاطلاق فـي باريـس والتي جـــرت عـــام ١٩٧١م. وتقدم للمسابقة ٦٨١ متسـابقا معماريا على مـستوى العالم. ولم تكن المسابقـة مجرد تقديم حلول واقتراحات إنما كان على المتـســابقين تقـديم حل معماري مـتكامل للمشروع يتم اختيار التصميم الفائز من خلال لجنة يرأسهـا الرئيس بومبـيدو شخصيا.

وقـد كـانت هذ التـجـربة المعـمـارية الرائدة من خلال هذه المسـابقـة جـديدة على باريس، وكـان العدد الهـائل من الحلول المقدمـة مربكا لعـملية الاختـيار للجنة التحكيم التي كـانت أيضا مكونة من رموز معـمـارية عالمية واحـتـوت على معمـاري فرنسي واحـد فقط. وكـانت مؤلفـة من أربعـة قيـمين لمتاحف ضـخـمـة بفرنسا، وأستاذ عمارة فرنسي، واوسكار نيـمـير من برازيليا، وفـيليب جونـسـون الأمـريكي، بالاضـافـة إلى امـيـل اليـانود المعـمـاري الفـرنسي الوحـيـد، ومـــهـندس فـــرنسي نـصب مسؤولا للجنة التحكيم.

والتـصـميم الفـائز الذي قدم من قـبل روجـرز وبيـانو لم يكن سوى كـمـيـة هائلة من الانابيب المعـدنـيـة الملونة التـي لا تنبىء بالكثـيـر من التـنظيم الفـراغي المعقـد بالداخل. حيث تشـابكت مجـموعة انابيـب وانشاءات من المعـدن تبلـغ اكـثـر من ١٥ الف قطعة معدنية والتي تخفي انشاء زجـاجـيـا بداخلهـا. وبلـغ طول المبنى ١٦٦ مترا ومساحته ١١٠ آلاف متر مـربع. وتمت المباشرة بانشـاء المشـروع عـام ١٩٧٢م والانتـهـاء منه مع مطلع العـام ١٩٧٧م. ويمثل هـذا المشـروع بداية عصر معماري جديد لمدينة باريس وبداية انطلاقـتـهـا نحـو تبني العمارة الحديثة.

ويستقطب المبنى أكثر من ٢٥ ألف زائر يومـيـا ومـا يزيد عن ثمانية ملايين سنويا من مختلف أنحـاء العالم ممـن لهم اهتمـام بالفن والعمارة، ويـحـتوي المبني على مـتـحـف لـلفن الحـديث ومـعـروضـات فنيـة من العـام ١٩٠٥م إلى اليـوم، وبالاضافـة إلى ذلك يحـتـوي أيضـا على مكتبة معلومات عـامة للجمهور ومـركـز أبحـاث الصـوتـيـات والدراسات الموسـيقية، ومـركز الابداع الصناعي وقاعات عرض ضـخـمـة، ومـشـغل للاطفـال ومعرض حرفي تاريخي.